المجتمع، ومرحلة ما بعد الإدمان على المخدرات
وطرق التعامل مع المقلعين عن تعاطي المخدرات

إعداد

نسيم أبو عافية

الجزائر 2016

المقدمة

الحمد لله الذي أحل لعباده الطيبات و حرم عليهم الخبائث ، القائل في محكم تنزيله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة:172] ، و شرع لهم ما يقيهم الشقاوة والضياع في الدنيا والحسرة والندامة في الآخرة ، وفتح باب التوبة للذين أسرفوا على أنفسهم منهم؛ ليستعيدوا سكينة النفس و طمأنينة البال ويستانفوا طريق استقامة السلوكّ ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

إن الإقلاع عن المخدرات ،أصعب و أهم مرحلة يُقدم عليها المُدمن ،رجاء حياة أفضل ومستقبل أحسن ، لينفتح على المجتمع و كُله أمل في حياة جديدة، تتحقق فيها الغايات و تتوسع فيها الأفاق .

ولكن المفاجئة؛ أن أكبر عائق يواجه المعافى من تعاطي المخدرات، هو المجتمع الذي يرفض إدماجه ،و التعامل معه إلا في نطاق ضيق و محدود ،فيحكم على حاضره و مستقبله انطلاقا من ماضيه في تعاطي المخدرات ؛ فتراه ممقوتا منبوذا، لا يستطيع أن ينشئ علاقات أو ارتباطات اجتماعية مهما كان نوعها ؛أبواب العمل و التوظيف في حقه مؤصدة، نظرات الخوف و الريب تلاحقه حيثما حل وارتحل ، وربما حتى الشماتة والتأنيب من طرف البعض، ناهيك عن دعاوى التثبيط و التيئيس التي تواجهه !.

من هنا يبدأ الصراع الداخلي لهذا الإنسان، الذي صار يعيش مفارقات و تناقضات بين إرادته في التوبة والإقلاع عما كان فيه، والانطلاق في مشروع حياة جديد، و بين إملاءات الواقع المتمثلة في رفض المجتمع، ودعوات رفقاء السوء،فينتج عن كل ذلك ،إحباط ويأس يؤديان إلى إحياء روح الانتقام من الذات و الآخرين .

فلا يكون أمام هذا الإنسان الضعيف الإرادة، المحبط نفسيا نتيجة إدمانه من قبل، إلا خياران اثنان : إما الثّبات وفرض الذات في واقع الناس و المجتمع؛ وإما الانتكاس والعودة لسابق عهده من إدمان وما يترتب على ذلك من أثار ؛و لا عزاء له حينها سوى شماتة الجاهلين بقولهم : كنا نعلم أنه لن يستطيع الثبات !.

بسبب رد الفعل السلبي للمجتمع اتجاه المُعافى ،أردنا أن يكون هذا البحث للإجابة على الأسئلة التالية :

- ما هي أسباب عداء المجتمع للمتعافين من تعاطي المخدرات؟.
- ما هي أهم الآثار و النتائج المترتبة على عداء المجتمع اتجاه المعافى من تعاطي المخدرات؟ .
- ما هي أهم الضوابط الشرعية، والأدوار المنوطة بالمجتمع اتجاه المتعافين من تعاطي المخدرات؟.

و سيكون الجواب من خلال هذا الورقة البحثية بصفحاتها المحدودة.

تشخيص الظاهرة

المجتمع في اللغة مشتق من جَمَعَ، فالجمع: ضم الأشياء المتفقة، وضده: التفريق والإفراد[1].
وأما مقصودنا الاصطلاحي في هذا البحث فهو : كل مجموعة قلت أو كثرت، سواء كان في مكان العمل أو المؤسسة التعليمية أو جماعة المسجد أو أصدقاء الحي، و حتى الأسرة في البيت و أقارب المعني [2] .
و أما الإدمان لغة : فهو من دَمِنَ على الشيء: لزمه ، وأدمن الشراب وغيره: أدامه ولم يقلع عنه [3].
و اصطلاحا: عبارة عن حالة نفسية عضوية تنتج عن تفاعل العقار في الجسم الإنسان[4] .
فمرحلة ما بعد الإدمان إذن المراد بها ؛حالة التعافي من التعاطي وهي غير التوقف ؛الذي يكون بصفة تلقائية أو عفوية و غير مدروسة ،و قد يعود المدمن لما ألفه و كان عليه في أية لحظة ، على خلاف المتعافى الذي هو:المدمن الذي تم تأهيله بطريقة علمية مدروسة.
وعليه فإن الدلالة العامة للعنوان: هي بيان الأسلوب الأمثل لتعامل المجتمع مع المتعافى من المخدرات.

غُربة المُعافى من تعاطي المخدرات بين أفراد المجتمع

لمعرفة مدى الأثر الكبير و العناء الشديد الذي يستشعره المتعافى من المخذرات في وسط مجتمعه ،لا بد وأن نلقى إطلالة خفيفة على طبيعة نفسية هذا الإنسان قبل تعاطيه المخذرات، ثم بعد إدمانه عليها ، لنتكلم في الأخير عن غربته بعد تعافيه .
مع الأخذ بعين الاعتبار ،بعض المرجحات الإضافية المشجعة على الانتكاس، كأن تكون امرأة متزوجة تشوهت سمعتها ، أو بنت مقبلة على حياتها تأمل بناء أسرة مثل مثيلاتها، أو رجلا عليه مسؤولية أهل يعولهم و يقوم بشؤونهم ، أو شابا صغيرا في السّن أمامه مستقبلا ينتظره و آمال تُعاجله .
إن أهم سبب يدفع بالشخص إلى تعاطي المخدرات و الإدمان عليها، هو القلق و الاكتئاب و أن أهم ما يميزه ويجعل عنده القابلية للإدمان هو أنه: بطبيعته إنسان غير استقلالي، قابل للاستهواء و الإيحاء، ضعيف الشخصية، له قابلية كبيرة للإحباط و الانطواء، لا يطيق المواقف المشحونة بالتوترات، و يميل للاستسلام و الانسحاب.

---

[1] لسان العرب، ابن منظور(ج9 ، ص 404) ، مادة: (جمع).
[2] انظر: المجتمع الإسلامي، أمين المصري، ص 14، المجتمع والأسرة في الإسلام، د. محمد طاهر الجوابي ، ص 12.
[3] المعجم الوسيط: مادة (د.م.ن) (ج 1 ،ص308).
[4] هيئة الصحة العالمية (W.H.O).

فإن أضفنا إلى ذلك العوامل الاجتماعية القاهرة من مثل التفكك الأسري، و غياب القدوة في المجتمع، و انتشار البطالة ،وتفاقم المشكلات المادية و العاطفية ،أو الترف المادي الغير منضبط بقيد ، فلنا أن نتخيل نفسية هذا الإنسان قبل الإدمان! .

مجموع هذه المواصفات النفسية أو بعضها، تقود إلى الإدمان ليصل إلى أخر مرحلة وهي مرحلة الاحتراق[5] حيث يصل به الإدمان إلى الاعتماد الكلي على المخذرات ،ليعود غير قادر على التوافق مع الغير و مع نواميس الحياة الاجتماعية السوية، بالإضافة إلى الآلام و الأضرار الجسيمة المتعددة .

ليصبح القلق و الاكتئاب رفيقاه و صاحباه، ثم تبدأ المخاوف الوهمية التي تجعله أسيرا للوساوس القهرية، فيكثر عنده الشك المؤدي للانفعال الشديد و الذي قد يقود إلى الإجرام و أذية الآخرين , ضف إلى ذلك الخجل, و اللوم المستعمر للنفس نتيجة الشعور بالذنب مما يؤدي إلى فقدان الشهية و الرغبة الجنسية.

فكيف يكون حال مثل هذا الإنسان في وسط مجتمع لا يرحم و إن رحم فإنه لا يحسن كيف يتعامل ؟ !

الله عز و جل أمر بمقاطعة الثلاثة الذين تخلفوا عن الغزو مع –النبي صلى الله عليه و سلم– فعوقبوا معاقبة جماعية امتحانا لهم و تعليما لغيرهم ،ثم وصف حالتهم النفسية فقال عز من قائل: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ [التوبة الآية : 118] ،و هو أدق وصف؛ لمن كان يستشعر في نفسه بأن المجتمع كله ضده، ينظر إليه نظرة الازدراء و الاحتقار ،نظرة الشك والريب .

في هذه المرحلة يخالج المتعافى مزيج من الرغبة و الرهبة ، تناقضات بين ما يتمناه و يريده، وبين ما يعيشه و يراه، خوف من المستقبل، الحنين إلى الماضي والرغبة في العودة إلى نمط الحياة القديم ! ، رفقة السوء الذين لا يزالون يزينون له ما كان عليه من ضياع و ضلال و يدعونه إلى طريقهم.

و لنتخيل موقفه من خلال ما تعرض إليه أحد الثلاثة المخلفين والذي يمثل النموذج للصراع بين الثبات و العود من بدأ والانتكاس،إنه كعب بن مالك فبعد أن قاطعه النبي و صحابته ،يأتيه داعي الكفر ملك غسان يفتح له أبوابه و يمنيه بحياة أفضل، فيبعث له برسالة مع نبطي من الأنباط يقول له فيها: "قد سمعنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك؛ قال كعب : فقلت في نفسي: وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرتها"[6].

---

[5] و هي آخر مرحلة من مراحل تعاطي المخدرات : 1 –مرحلة التجربة 2–مرحلة التعاطي المقصود3– مرحلة الادمان 4–مرحلة الاحتراق

[6] جزء من حديث كعب بن مالك ،رواه البخاري (ج 4 ،ص 1604) ؛رقم 4156

وما يتعرض له المعافى ليس فقط ضغط المجتمع و دعاوى الضلال، بل قد يحدث و أن تكون هناك بعض المخّلفات أو المستحقات المادية أو المعنوية التي كانت في زمن ضياعه، و لا زالت تنتظره كدفع الديون أو إعانة الأسرة و التكفل بالأولاد و الأهل ،أو بعض المتابعات القانونية، أو الفضائح الأخلاقية . ثم الحيطة و الحذر اللذان يحس بهما اتجاهه من طرف الآخرين ،هذا الإحساس قد يكون حقيقيا أو وهميا أو مزيجا بين هذا و ذاك ، ولكنه معاناة نفسية جد قاسية.

فقد يدخل مسجدا فيحس بأن الجميع ينظر إليه ولو كان في مكان لا يعلم أحد بحاله،ولكن الوسواس الذي يسيطر عليه يفعل فعله!

و هنا تتنوع ردود أفعال المتعافين لتنحصر في أقسام ثلاثة:

1 – قسم ينتكس و يعود لما كان عليه، أو أسوأ بأن يلجأ إلى الانتحار أو غيره .

2– قسم يثبت و يحسن حاله، و يستقيم سلوكه ،و يواصل حياته وفق المقدور البشري المتاح.

3 – قسم ينتقل إلى انتحال ثوب المشيخة؛ من خلال التركيز و حصر التغيير في بعض المظاهر الدينية، معتقدا بأن ذلك كفيل بتبييض ماضيه، و مساعدته على فتح صفحة جديدة في حياته ، و أنَّ المجتمع بهذا سيعطيه فرصة أخرى ليثبت بها استقامته و حسن سلوكه .

و هو بعد ذلك إما أن يجد القدوة التي تأخذ بيده إلى بر الأمان بمنهجية سليمة و معتدلة، أو تقوده إلى التكفير و التفجير مستغلة بذلك ما سبق ذكره من نمط، و طبيعة شخصيته الهشة الضعيفة.

المستلزمات الفردية التي تقع على عاتق هذا الشخص للنجاة بنفسه

1 – ستر النفس وعدم ذكر الماضي، إلا بما تقتضيه الضرورة، وتمليه المصلحة: ستر النفس مطلوب لأن الكثيرين ممن يريدون العودة إلى طريق الصواب تجدهم يلومون أنفسهم بأشياء ارتكبوها قبل إقلاعهم عن المخذرات ،و يحسون و كأنهم مضطرين للإخبار و الإفصاح عنها ،حتى يقتص منهم من كان له حق أو يجازون بما اقترفوه من خطايا، أو ربما لأنهم يريدون أن ينطلقوا في حياة لا يطاردهم فيها كابوس الماضي ،و يعتقدون بأن عدم إخبار الآخرين هو قلة وفاء، أو من أنواع الخيانة ،و في مثل هؤلاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فإنه من يبدي لنا صفحته نقم عليه كتاب الله "[7].

2 – اليقين بأن النصر مع الصبر،و أن الفرج مع الهم ،و أن بعد العسر يسرا :قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: 155]

---

[7] موطأ مالك لمالك ابن انس :(ج1 ، ص 631) ؛ رقم 1562 ، إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم – المحدث: ابن الملقن – المصدر: خلاصة البدر المنير – الصفحة: 303/2

3 –العلم بان البلاء سنة ماضية ليوم القيامة : قال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ [محمد : 31]، فلا فرق بين مدمن أو معافى،أو بين قوي و ضعيف فهي سنة الله في خلقه .

4–تغليب جانب الرجاء على الخوف: لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53] ؛ وفي الصحيحين، عمن أذنب وعاد ثلاثا ثم تاب، أن رب العزة قال له: "أَذْنَب عبدي ذنبًا، فعَلِم أنَّ له ربًّا، يغْفِرُ الذنْبَ، ويأخُذُ بالذنبِ، قد غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فلْيَفْعَل ما شاء" متَّفَق عليه .

و قد غلبنا جانب الرجاء و العفو على الخوف و الرهبة ، لما تتميز به شخصية هذا المتعافى من تعاطي المخدرات في الغالب من إحباط و قنوط و يأس، و قابلية كبيرة للانسحاب و الانتكاس.

و قد نقل ابن القيم ما يفيد هذا المعنى عن بعض أهل العلم و لم يُسّمِهِ :" أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب والرجاء حاد، والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه"[8] .

5 – اليقين بأن تعجيل العقوبة في الدنيا دليل خيرية يوم القيامة : قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : "إذا أراد الله بعبدِه الخير عَجَّلَ له العقوبةَ في الدنيا"[9]،وقال: "مَن يُرد الله به خيرًا يُصِبْ منه"[10].

فما كان من ضغط المجتمع، أو فضيحة لحقت بصاحبها نتيجة عمله ، أو بلاء أصابه فكله تكفيرا و تطهيرا له من أدران الذنوب، ورفعا للمقام يوم القيامة ، بشرط التوبة النصوح و الثبات على الصراط السوي .

6– استشعار المعية الإلهية التي يكون معها الفرج و المخرج : قال تعالى :﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: 2، 3].

7 – استدراك ما فات بالعمل الصالح النافع : قال تعالى : ﴿ وأقم الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: 114] .

8– الصحبة الصالحة و تغيير مكان الإقامة إن لزم الأمر:يظهر ذلك من حديث القاتل المائة الذي أراد التوبة فدله الرجل العالم على ضرورة تغيير المكان و الرفقة الصالحة قائلا : " ... انْطَلِقْ إِلَى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أُناسًا يعْبدون الله تعالى فاعْبُدِ الله معهم، ولا ترجعْ إِلى أَرْضِكَ؛ فإِنها أرضُ سُوءٍ.. "[11]

و الخلاصة أنه يجب اعتماد كل الأعمال القلبية للمساهمة في نجاة المعافى من غير إفراط ولا تفريط .

---

[8] مدارج الساكلين : لابن القيم الجوزية ،ص 514

[9] رواه الترميذي لصاحبه محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، السلمي الترمذي :(ج4 ،ص519) ؛رقم 2396 .

[10] رواه البخاري :(ج5 ،ص2138) ؛ رقم 5321

[11] حديث متفق عليه .

نماذج من ردود الفعل السلبية للمجتمع تجاه المُعافى و أثارها النفسية

ردود المجتمع اتجاه المتعافى من تعاطي المخدرات تختلف حجما و حدة ،ضعفا و قوة ، من مجتمع إلى آخر، والذي يتحكم في ذلك طبيعة المجتمع و قيّمه و مدى ثقافته و إدراكه ، وحتى قابليته للتعاونّ من عدمه.

وباعتبار أن المجتمع نسيج من الأفراد و الثقافات ، فإننا نجد فيه الخبيث و الطيب ، والعالم و الجاهل ، والمحب والمبغض ، و المُغبط و الحسود و هذه سنة ماضية من لدن آدم إلى يوم القيامة.

ومن هنا نستطيع أن نجمل ردود الأفعال السلبية للمجتمع في مجموعة أمور :

1-الغيبة و النميمة : وهما من أصعب العقبات التي تواجه المتعافى من المخدرات، بحيث أن خبره و حاله ينشر انتشار النار في الهشيم ،و يضاف من الزيادات و التهويل ما لا يعلمه إلا الله ، و هؤلاء لا يعلمون أن الله قد يعافيه و يبتليهم ، و أن الستر مطلوب شرعا و عقلا ،فقد جاء عن النبي- صلى الله عليه وسلم- : "ومن سَتَرَ مُسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة" متفق عليه .

2-التعيير في شكل النصيحة:وهذا شائع جدا؛حتى أنك ترى الواحد يأتي في زي الناصح و هو لا يريد سوى الفضيحة و كشف الأستار ،و هو لا يعلم أن تعيير الأخ لأخيه بذنبه أعظم إثما من ذنبه وأشد من معصيته و لانتشار هذا المرض القلبي الخبيث وعموم البلوى به ، صنَّف الإمام ابن رجب الحنبلي رسالة جعل لها عنوانا دالا على فحواه وهو : "الفرق بين النصيحة والتعيير".

3-التعميم : و المراد به تعميم الأحكام السلبية الجائرة على جميع أهل المعافي ، من أولاده و إخوانه و أخواته ، فيعاملون معاملة الجلْد و العقاب، من غير ذنب ارتكبوه أو إثم اقترفوه ، فهم ممقوتون من غير ذنب و مُعادون من غير سبب ،و الله عز و جل يقول ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الزمر: 7].

وهذا أمر شائع منذ العهود القديمة فإخوة يوسف عمموا الحكم و أثبتوا التهمة لبن يامين أخوه، باعتبار أن يوسف قد فعلها من قبل فيما يدعون،فقال تعالى:﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [يوسف:77].

4-الاحتقار : ويكون من خلال النظر بعين النقص من طرف المجتمع عموما و بعض المتدينين خصوصا؛لما يتصفون به من التزام و بغض للمعصية، و عدم التفريق بين التائب من الذنب و المصر عليه ، و الخلط بين بغض الذنب و بغض المذنب التائبِ .

5-الريبةّ : و هو أمر يقع فيه الكثيرون اتجاه هذه الفئة و لا يكتفون بالريبة لأنفسهم، و لكن يتعدونها إلى تحذير الآخرين ممن يجهل حال المتعافى و ماضيه، أو ممن اقتنع بضرورة تقديم يد العون و المساعدة له من باب الأخوة في الله ،أو من باب الإنسانية و حب الخير للناس !.

فلا يقومون بتوظيفهم ولا تزويجهم ولا مد يد العون لهم و ينهون غيرهم عن ذلك ، خوفا و ريبة من سابق عهدهم وسابق حالهم ،و قد يكون هناك تبريرا عند البعض و لكنه ليس قاعدة مطردة .

6-الهجر و القطع :و هي النظرة الإقصائية و العقوبة الجماعية التي تواجه المتعافي من المخدرات، فيُقاطع و يُهجر ولا يُلقى عليه السلام ولا يُزار أو يُسأل عنه من غير أي ضابط شرعي ، بحكم أنه من تسبب في ما آل إليه أمره و وصل إليه حاله، متناسين واجب الأخوة و النصرة و التعاون على الثبات .

7-التيئيس و التثبيط : و المقصود به ما كان في أمر الّدين خاصة؛ بحيث أن الكثيرين ممن يستصغرون ذنوبهم و يستعظمون ذنوب غيرهم، يكثرون من التذكير بالوعيد، و التيئيس من المستقبل القريب و البعيد.

نتيجة لكل ما سبق ذكره من ردود الأفعال السلبية اتجاه المتعافى، لا يكون أمام الكثيرين سوى العدول عن طريق الاستقامة الذي ساروا عليه كرد فعل طبيعي لما يعانونه من طرد و نبذ المجتمع لهم، و هذا ما تبناه العالم الأمريكي (أودين لمبرت) كبداية للانحراف و كسبب للانتكاس و العود للانحراف، و قد أصاب إلى حد ما في الثاني -أي :الانتكاس - و جانبه الصواب في الأول - أي: بداية الانحراف- [12] .

أسباب رفض المجتمع للمعافى من تعاطي المخدرات

هي كثيرة و متعددة منها ما هو مبررٌ مقبولٌ،و منها ما هو وهميٌ مرفوضٌ ونجملها فيما يلي :

- الطابع العقدي الغالب على المجتمعات المسلمة، و شدة إنكار و تحذير العلماء و الدعاة من المخدرات .
- الجهل بالضوابط الشرعية للتعامل مع المتعافى من تعاطي المخدرات.
- الضرر الكبير الذي تلحقه هذه الآفة من فساد للدين ،وإتلاف للمال، وانتهاك للأعراض و ضياع للعقل .
- انتكاس الكثيرين ممن يتركون المخذرات، و العودة لها بعد طول انقطاع .

---

[12] نظرية الوصم : و مفادها أن ردود الأفعال الانحراف ما هو سوى نتيجة تفاعلية بين فعل الفرد المنحرف ، وردود أفعال المجتمع تجاهه ، وبتناميها في عملية تصاعدية تصل في النهاية إلى استقرار المنحرف على ذلك السلوك المنحرف ، ثم وصمه بالانحراف . من كتاب أسباب العودة إلى الجريمة ، نقلا عن كتاب إبراهيم الطخيس . دراسات في علم الاجتماع الجنائي ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض 1405هـ .ص 98

- الخوف من المجهول ،فالكثير من النّاس لا يعرفون عن عالم المخدرات شيء ،سوى ما يسمعونه من أثآر سلبية لا حصر لها في واقع الناس .
- التملص من المسؤولية وطلب السلامة، بسد ذريعة المتابعة القانونية أو الشرعية أو الأخلاقية المحتملة .
- الخوف من الأمراض و الأوبئة المحتملة، نتيجة الإدمان و التعاطي المسبق.

القواعد الشرعية والنبوية،

ودور المجتمع في التعامل مع المعافى من تعاطي المخدرات .

المطلب الأول : نماذج من تعامل النبي –صلى عليه و سلم– التائبين من أصحاب الكبائر :المتأمل في سيرة المصطفى –صلى الله عليه و سلم– و منهجه في التعامل مع المذنبين المصرين و التائبين ، يرى من الرحمة و الشفقة و من تغليب مصلحة الجاني التائب، ما لا يجده في أي منهج غير منهج النبوة ، و نعرض بعضا من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر :

1 – التوبة تجبُ ما قبلها دينيا و اجتماعيا: يتجلى ذلك من موقف الصحابة و النبي من المرأة المخزومية التي سرقت في غزوة الفتح، و التي شفع فيها أسامة بن زيد و أنكر عليه النبي –صلى الله عليه وسلم– في أن يشفع في حد من حدود الله، و أبى إلا أن يقيم عليها حد السرقة[13].

ولكن بعد أن أدى حكم الله فيها ، تجاهل مجتمع الصحابة كل ما سلف، و تزوجت لتؤسس أسرة، و كانت تزور بيت النبي –صلى الله عليه و سلم – من غير نكير، فلم يقصها المجتمع الإسلامي، و لم يتابعها ولم يقم بعزلها ماديا أو معنويا،قالت أمنا عائشة: "فحسنت توبتها بعد –هذه المرأة السارقة تابت إلى الله، وحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت– وكانت تأتيني بعد ذلك، فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم "[14].

و حدث نظير ذلك للمخلفين الثلاث[15] و لذا يقرر الرسول قاعدة :" التائب من الذنب كمن لا ذنب له "[16]

2–ترك التثريب : يقول –عليه الصلاة والسلام– :"إذا زنت أمة أحدكم فليقم عليها الحد، ولا يثرب"[17] ،أي : لا يعير ،فلا يظل يذكرها في كل مرة بخطئها ويعيرها به لأنها نالت جزاءها و حدّها.

---

[13] رواه مسلم : (ج3 ، ص 1316) ؛رقم 1688 .

[14] المصدر نفسه .

[15] حديث طويل لكعب بن مالك رضي الله عنه ، صحيح مسلم : (ج 4 ، ص 2121) ؛رقم 2769

[16] رواه ابن ماجه (4240) وصححه البوصيري كما في " الزوائد / حاشية سنن ابن ماجه. "

[17] سنن ابي داود : لصاحبه سليمان بن الأشعث السجستاني (ج 4 ،ص 161) ؛رقم 4460

3 – الأصل في الإنسان البراءة : يتجلى ذلك في موقف النبي من عائشة حينما وقع المنافقون و بعض الصحابة في الإفك فقال –صلى الله عليه و سلم : "يا عائشة ! إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله" .

4 – مراعاة الجانب الخير في المرء : فما من إنسان إلا وله سبق في مجالات الخير، فلنتذكر منه ذلك و نحييه فيه من جديد ،تجلى ذلك من موقف النبي مع الصحابي الجليل حاطب ابن ابي بلتعة الذي قام بما يشبه في زمنا هذا بالخيانة العظمى عن اجتهاد منه، حتى قال عمر– رضي الله عنه– : "يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق" , فقال النبي –صلى الله عليه و سلم– : " إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر , فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم "[18] .

5– إعطاء الفرصة لتائب: قال تعالى﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النحل : 119] و تجلى ذلك في عفو النبي عن عكرمة ابن ابي جهل ،و غيره ممن أذوه وحكم بقتلهم في فتح مكة ، وعمن ارتد و تاب بعد ذلك، و غيرها من المواقف التي لا نستطيع تفصيلها لمحدودية حجم الورقة البحثية .

6– المسلم يكون عونا لأخيه،لا عونا للشيطان عليه: لما اقام الرسول الحج على شارب الخمر وقال احدهم قاتلك الله! أو أخزاك الله، فقال الرسول– صلى الله عليه وسلم: "لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم "[19].

7– التفريق بين حكم الشرع و هوى النّفس: كثيرون يخلطون بين كراهيتهم لشخص ما بسبب دنوي أو شخصي ، و بين بغضهم له لسبب ديني، فيكسون أحقادهم بثوب الدين لهوى النفس، فيكون حكمهم تبعا لهواهم وليس لتمكين شرع ربهم في إقامة الحد و معاقبة الجاني .

فعن أبي ماجدة قال: كنت قاعداً مع عبد الله بن مسعود ، فقال: إني لأذكر أول رجل قطعه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –أي: حد السرقة– أُتي بسارق فأمر بقطعه فكأنما أسف وجه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، لما قطعت يده، "فقالوا: يا رسول الله! كأنك كرهت قطعه، قال: وما يمنعني؟ لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم" [20] ؛ فها هو النبي صاحب القلب الرحيم يتأسف أنه أقام الحد على من يستحقه لأن غايته إقامة العدل و نشر الأمن و الأمان، و ليس انتقاما للنفس أو انتصارا للهوى .

8 – الستر مطلوب شرعا و عقلا : كان هدي النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا أتى العاصي تائبا معترفا بالذنب اجتهد في دفع الحد عنه و في ستره، و بتوجيهه كي يتراجع عن اعترافه و إقراره بستر

---

[18] جزء حديث طويل أخرجه البخاري : (ج 3 ،ص 1095)، رقم 2845 .

[19] مسند احمد : لصاحبه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (ج 1 ،ص438) ؛ رقم 4157 قال الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة : هو عندي حسن.

[20] المرجع مفسه.

نفسه ،كما فعل حينما جاءه ماعز قائلا:"طَهِّرْنِي" فَقَالَ –صلى الله عليه و سلم– "وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ "[21] و لم يقم عليه الحد إلا بعد إصرار كبير منه، ثم أمر أصحابه أن يستغفروا له .

قواعد شرعية في التعامل مع المُعافى من تعاطي المخدرات

مما سبق يتبين لنا أسلوب ومنهج الإسلام في التعامل مع المتعافين من المخدرات و المتمثل فيما يلي :

- ✓ الأصل في المسلمين هو التكافل و التآزر لتجاوز المحن .
- ✓ الستر واجب إلا فيما تقتضيه المصلحة الشرعية الراجحة.
- ✓ حسن الظن بالمسلم المتعافى هو الأصل، و اتهامه استثناء .
- ✓ اتهام النفس و عدم تزكيتها ،والخوف من سوء الخاتمة و سوء المنقلب يعين على تقبل تقصير الآخرين .
- ✓ إظهار الشماتة مُنهى عنه شرعا .
- ✓ من تلقى جزاءه في الدنيا فأمره إلى الله، و هو فرد من المجتمع المسلم له ما له، و عليه وما عليه.
- ✓ الغاية من التشريع إتاحة الفرص لاستمرار الحياة، وليس لتحطيم المستقبل؛ ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:179] .

المطلب الثالث : الدور الايجابي للمجتمع في الثبات وكيفيته : لا بد من الإشارة بأن وحدة المسلمين العقدية تستلزم عليهم أن يكونوا كالجسد الواحد و البنيان المرصوص، فإن ابتلي أحد أفراد المجتمع فلا بد أن يكون النفير العام لإنقاذه، فيبرز دور الأسرة بالإعانة المادية و المعنوية من خلال تقبل الوضع الراهن ،و تشجيع المتعافى و السؤال المستمر عنه و إشعاره بأهميته و الاهتمام به ، و تمنى الخير له ؛و يبرز دور الأقارب من خلال تشجيع العلاقات و الروابط الأسرية و محاولة تجاهل ما مضى؛ و يبرز دور الإخوان و الأصدقاء بالمواساة اليومية، و إشغال المتعافى بما يفيده في دينه و دنياه .

و يبرز دور الداعية و المرشد الروحي من خلال التبشير برحمة الله و مغفرته ، و التشجيع على لالتزام و الثبات عليه ؛و يبرز دور المجتمع عموما من خلال فتح مجالات للعمل و الكسب ؛و يبرز دول الدولة من خلال إنشاء مؤسسات التأهيل و المتابعة اليومية، من خلال خدمات العيادات الخارجية المستمرة ،لضمان الحد الأدنى من الاستقرار ، لأجل التعايش و التأقلم مع ظروف الحياة الجديدة .

النتائج و التوصيات :اتضح لنا مما سبق مجموعة نقاط أساسية نلخصها فيما يلي :

- من الخطأ أن نعتقد بأن إنقاذ المدمن، يكمن فقط في انتشاله من مستنقع الإدمان ، بل لا بد و أن يستمر إلى مرحلة ما بعد التعافي.
- قدسية مصادر التشريع الإسلامي تجعل منه أسلم و أكمل منهج للتعامل مع المتعافين من المخدرات .

---

[21] رواه مسلم : (ج 3 ، ص 1321) ؛ رقم 1694

- لا بد من مراعاة الضوابط الشرعية في التعامل مع المتعافين من المخدرات .
- ضرورة المزج بين الخبرات البشرية الإنسانية، و الضوابط الشرعية الربانية ،في إنقاذ و مساعدة المتعافين.
- تشجيع المتعافين عقديا و فكريا لأن ذلك عون على الثبات، و بركة في الحياة .
- لا بد من تضافر جميع الجهود للمحافظة على المتعافى .

و صل اللهم على محمد و على اله و صحبه ومن والاه ،و الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أسباب العودة إلى الجريمة : عبد الله بن ناصر السدحان، مجلة التعاون ، الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ، العدد 42 ، محرم 1417 هـ .
- تعاطي المخدرات في بعض دول مجلس التعاون الخليجي : سيف الإسلام بن سعود.
- الرعاية اللاحقة : عبد الله بن ناصر السدحان .
- مدارج السالكين ابن قيم الجوزية : ت: ناصر بن سليمان السعوي – علي بن عبد الرحمن القرعاوي – صالح بن عبد العزيز التويجري – خالد بن عبد العزيز الغنيم – محمد بن عبد الله الخضيري ،دط ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، 1432 – 2011 .
- موسوعة ويكيبيديا .
- موقع اسلام ويب .